

وفاة آمنة

وحشة الغريب

عاد محمد إلى مكة، فعاد إلى الأرض التي نبتت فيها أصوله، وتعمقت فيها جذوره، وتفرعت فيها بطائنه وأهله. فكان حَرِيًّا أن تَقَرَّ بذلك عينه، وتفتتح له نفسه؛ ولكنه ظل فترة من الزمن يشعر بالنفور من ذلك الجو الجديد ويعيش فيه عيشة المستوحش الغريب.

نعم، كان كل شيء جديدًا عليه في ذلك الجو، إذ لم يكن قد أَلِفَ غير مناظر البادية، في امتداد أطرافها، وسعة آفاقها، وانبساط أراضيها؛ وفي صمتها البالغ، وهدوئها الشامل، وسكونها الدائم؛ وفي هذا العدد القليل من سكانها الذين يعترفهم ويعرفونه، ويألفهم ويألفونه؛ وفي هذه المساكن الساذجة، التي يتخذونها من الخيام تارة ومن أكنان الجبال تارة، يأوون إليها إذا آذاهم البرد أو أرهقهم الحر...

أما هذه القصور الشاهقة، وهذه الأبنية المتلاصقة؛ وأما